٢٤١

وما جرى له مع اخوته ثم ان صار الى الملك بعد الرق من انباء الغيب يعني اخبار الغيب نوحيه اليك يعني
الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحي اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلما ولم يسافر الى غير بلده الذي نشا فيه وانه صلى الله
عليه وسلم نشا بين امية مثله وانه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب
وابين معان وافصح عبارة علم بذلك ان الذي ياتي به هو وحي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قايمة
الى اخر الدهر وقوله تعالى وما كنت لديهم يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم
يعني حين عزموا على القا يوسف في الجب وهم يمكرون يعني بيوسف وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك
ان اليهود وقريشا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما
عندهم في التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فانزل الله ولو حرصت على ايمانهم
ففيه تسلية له قوله وما تسالهم عليه من اجر يعني على تبليغ الرسالة والدعا الى الله تعالى من اجر يعني
اجرا وجعلا على ذلك ان هو اي ما هو يعني القران الا ذكر يعني عظة وتذكيرا للعالمين وكاين من اية
في السموات والارض يعني وكم من اية دالة على التوحيد والارض يمرون عليها يعني لا يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها وهم عنها معرضون اي لا يلتفتون اليها والمعنى لبيس اعراضهم عن هذه الايات الدالة
على وحدانية الله تعالى فاعجب من اعراضهم عنك يا محمد قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
يعني ان من ايمانهم انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا
الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس وهم يقرون ان الله خالقهم فذلك
ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية اخرى عنه ايضا انها نزلت في تلبية مشركي العرب
وذلك انهم كانوا يقولون لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطا
هذا في الدعا وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخا فاذا اصابهم البلا اخلصوا في الدعا افامنوا ان
تاتيهم غاشية من عذاب الله يعني عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة
وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة بغتة يعني فجاة وهم لا يشعرون
يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس في اسواقهم قل اي قل يا محمد لهولا هذه سبيلي يعني
طريقتي التي ادعو اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه الطريق
المودي الى الله عز وجل والى الثواب والجنة ادعو الى الله على بصيرة يعني الى توحيد الله والايمان به
على بصيرة يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل انا ومن اتبعني
يعني ومن امن بي وصدق بما جيت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق
على من اتبعه وامن به ان يدعو الى ما دعى اليه ويذكر بالقران ثم الكلام عند قوله ادعو الى الله
ثم استانف على بصيرة انا ومن اتبعني يعني انا على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس
يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة واقصد هداية وهم معدن العلم وكنز
الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود ومن كان مستنا فليستن بمن قد مات اوليك اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم
الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرايقهم فهم كانوا على الصراط

المستقيم

المستقيم وقوله وسبحان الله يعني اي وقل سبحان الله تنزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب ونزه
والنقايص والشركا والاضداد والانداد وما انا من المشركين يعني وقل يا محمد وما انا من المشركين الذين
اشركوا بالله غيره قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا امثالك
ولم يكونوا ملايكة نوحي اليهم هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من
ارسالنا اياك يا محمد وسائر الناس والرسل الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالهم كحالك من اهل القرى
يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن
ولا من النسا وقيل انما لم يبعث نبيا من البادية لغلظهم وجفاهم افلم يسيروا في الارض يعني هولا المشركين
المكذبين فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر
هولا بهم وبما حل بهم من عذابنا ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يعني فعلنا هذا باوليانا واهل طاعتنا ان نجيناهم
عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الاخرة
وان كانت هي الجنة لان العرب تضيف الشي الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه افلا
تعقلون يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيومنون قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل قال صاحب
الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فتراخى
نصرهم حتى اذا استياس الرسل اي من ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة
والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة على ما قاله الواحدي ان معناه ظن الامم ان الرسل قد
كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك عدوهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك ومنه قوله وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله قال ابو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم التقدير وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يومنوا
بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا
على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شيت قلت ان ذكرهم
قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم مكذبي الرسل فالظن هنا
على معنى التوهم والحسبان وهذا ما روي عن ابن عباس انه قال في الاية حتى اذا استياس الرسل من
قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه
وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان اي وعدوا ان يومنوا ثم لم يومنوا او قال
صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاوهم كقولهم
رجا صادق ورجا كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتامله
قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاهم نصرنا
فجاة من غير احتساب وقال ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله
من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قال صاحب
الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فليس جايز
على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكي

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)